صور التّعايش المذهبي بتاهرت الرّستمية من خلال كتاب ابن الصغير المالكي

[1] زبير سالمي*
[1]جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس (الجزائر)

Title The sectarian coexistence's pictures in Tahert "the Rustumid capital" from the book of Ibn Al Saghir Al Maliki

[1] zoubeyr salmi*
[1] https://orcid.org/0009-0008-9296-5585
[1] Djilali Yabes University, Sidi Bel Abbes (Algeria), szoubeyr@gmail.com

تاريخ الاستلام: 07 / 04 /2023 تاريخ القبول: 17 / 01 / 2024 تاريخ النشر: 01 / 03 / 2024

الملخص:

يعدّ الاختلاف المذهبي طبيعة بشرية عرفت منذ القدم، فلا يمكن تجاهل ما كان بين الفرق الإسلامية من اختلاف مذهبي انتهى إلى اختلاف سياسي وقطري، على أنّ هذا المثال لا ينسحب على كل الدّول، فهناك أمثلة ضربت نماذج رائعة في التعايش المذهبي، ولعل أبرز مثال في هذا الصدد، مثال الدولة الرّستمية بالمغرب الأوسط (الجزائر) حيث قيّد لنا ابن الصغير المالكي ما كان يشهده مجتمعها من تعايش مذهبي بالرغم من تنوعه، حيث يمكننا من خلال هذا البحث أن نستهدف جملة من الأهداف على رأسها غرس ثقافة التعايش في أبناء الحاضر.

ولا يمكن إغفال أهميّة هذه البحوث بما تحتويه من جوانب تاريخية، والتطرق لموضوع عدّ من المواضيع الحساسة في وقت مضى، نظرا للاصطفاف المذهبي والانحياز العرقي والتحزب السياسي، وقد خلصت من خلال هذا البحث إل جملة من النتائج أهمها: أن مدينة تاهرت بالرغم من التنوع المذهبي الكبير بقدر ما كانت تشهد تسامحا وتعايشا مذهبيا وقابلية له.

كلمات مفتاحية: الدولة الرّستمية.، المجتمع التاهرتي.، التعايش.، المذاهب.، ابن الصغير.

Abstract:

The sectarian différence is a human nature That has been known since ancient times. Therefore, it is not possible to ignore the sectarian difference that was between the Islamic sects, and that ended by political and regional differences. Though this example is not applied to all countries, so there are other examples about the sectarian coexistence. One of the most prominent examples is of the Rustamid state in the Middle Maghreb (Algeria) where Ibn al_Saghiri al_Maliki had shown the coexistence that was witnessed in its society despite of its diversity. Through this research, we can gather a number of goals, on top of which is instilling a culture of coexistence in our present generation.

It is not possible to overlook the importance of these researches, including its historical aspects, and addressing a topic that is considered as one of the sensitive topics in the past. Through this research, we have

* المؤلف المرسل.
* Corresponding author.

concluded a number of results and its main one is that althongh the culture of coexistence, tahart society witnessed a large of for coexistence.

Keywords: The Rustumid state; Tahart society; coexistence; doctrines; Ibn al-Saghir.

مقدمة:

يعدّ الاختلاف المذهبي والدّيني طبيعة بشرية وجدت منذ سالف الأزمان، سواء كان هذا الاختلاف في الديانة الواحدة بين مختلف الفرق والمذاهب، أو كان جوهريا بين ديانة وأخرى، غذّاها الاختلاف العقائدي، والتعصّب الدّيني، والجهل بثقافة الآخر، والاصطفاف السّياسي والعرقي، ولا يمكن تجاهل من خلال ما ذكرت، ما كان بين الفرق الإسلامية من اختلافات بنيت على أساس ديني ومذهبي، انتهت إلى اختلاف سياسي وقطري، مارس مريدوها على مخالفيهم أنواع الاضطهاد، كامتحان العلماء ومنظّري هذه الدّعوات والمذاهب، وحرق الكتب والمكتبات، وسجن أتباع هذه الفرق، على أنّ هذا المثال لا ينسحب على الدّول قاطبة، فيشذّ عن هذا النموذج بعض الأمثلة التي ضربت نماذج رائعة في التعايش الدّيني والمذهبي – مع قلّتها – واستطاعت أن ترسم صورة حضارية مشرقة، شهد لها المخالف قبل الصديق.

وممّا يلاحظ جليّا أنّ البحوث والدّراسات المتعلقة بالمذهبية هي دراسات مهمّة وحساسة في نفس الوقت، نظرا لتوجيه أقلام الباحثين ودراساتهم للانتصار لهذا المذهب أو معارضته، وهذا ما جعل البعض يبتعد عن الخوض في غمار هذا النّوع من الكتابات التّاريخية، خاصّة وأنّ بعض الباحثين ما زالوا متعلّقين بالمذهبية منحازين لها في عملية التّأليف التّاريخي، إلّا أنّه لا يمكن إغفال أهميّتها وقيمة تآليفها وما تحتويه من جوانب تاريخية أخرى متعلّقة بها كالاقتصاد والاجتماع والثّقافة وغيرها من الجوانب التّاريخية، ولذا يمكننا أن نعتبر هذا النّوع من المؤلفات من المصادر الدّفينة التّاريخية، كما أنّ البحوث المذهبية عموما، والتّاريخ الأباضي والرستمي على وجه الخصوص، يشهدان ندرة في المكتبة العربية والإسلامية، خاصّة وأنّ أصحاب الخزائن والمخطوطات ما زالوا يتشبثون بها، ولا يسدونها لأصحاب الاختصاص كي يستفيدوا منها، ويفيدوا بها الدّراسات الأكاديمية، ولعلّ هذا الانغلاق سبّب حرجا وتعثّرا للمهتمين بمثل هذه الدّراسات، كما نلاحظ أنّ جلّ الدّراسات في حقل المذاهب عموما الأباضية خصوصا تكاد تكون محصورة في أبناء المذهب ولا تتعدّاهم إلى غيرهم من الباحثين، انطلاقا من وصولهم إلى خزائن المخطوطات دون غيرهم.

ولكن مع هذا، فالعذر غير ملتمس للباحثين الأكاديميين في هذا الشّأن، ووجب عليهم تغطية النقائص وسدّ الثغرات حتى يستطيع المهتم بهذا الموضوع أن يكوّن صورة واضحة يستطيع من خلالها أن يقف عند مكامن وأسباب نشأة هذه المذاهب، وأن يستند إلى آراء مؤسسة لأصحاب وروّاد هذه المدارس في أطروحاتهم ومواقفهم، الهدف منها تبرير بعضها كي يتسنى لنا جميعا التعايش في ظلّ مجتمع واحد يجمعنا، خاصّة وأنّ معظم هذه الآراء قد مرّ عليها قرون من طرحها، وغابت عنّا معظم وقائعها، بل وتغيّرت الظّروف والمعطيات التي تستدعي استرجاعها وتجديدها.

ومن هنا ارتأيت طرح موضوع يصبّ في هذا الباب وهو: " صور التّعايش المذهبي تاهرت الرستمية من خلال كتاب ابن الصغير المالكي " الأمر الذي يستدعي طرح الإشكالية التالية: كيف استطاع حكام الدولة الرستمية أن يحافظوا على استقرار المجتمع التاهرتي في ظل هذا المزيج المذهبي؟

إنّ الدّولة الرّستمية كانت بحقّ ترجمة لما ذكرناه من سياسة رصينة تحفظ مزيج المجتمع من التشرذم والانقسام، ويضرب لنا كتاب أخبار الأئمة الرستميين أروع الأمثلة في التّعايش بين مختلف الفرق والملل والنّحل بالمجتمع التاهرتي، ويوضح لنا سياسة الدّولة الرستمية التي قامت على حسن الجوار المذهبي، والمزيج الإثني الذي يعترف بالآخر، ويراه مكمّلا له، ومن المفارقات التي تكتنف الموضوع، كون هذه الدّولة تحسب على فرق الخوارج والتي عُرِفت عبر التّاريخ الإسلامي بالتشدّد

وغلظتها مع المخالف، والذي يصل في أغلب الأحيان إلى اعتماد القتل كوسيلة لتسوية الخصومة، غير أنّ الأباضية ببلاد المغرب الإسلامي عُرِفوا باعتدالهم وتعايشهم مع مخالفيهم في المذهب، بدليل استمرارهم إلى يوم النّاس هذا بالأقطار المغاربية، علاوة على استمرارهم بالمشرق، دون غيرهم من الفرق التي نشأت إلى جانبهم، وهذا دليل على اعتمادهم سياسة مرنة مكّنتهم من التّكيّف والاستمرارية والتّعايش في مجتمع واحد مع مخالفيهم، مع إبقائهم على خصوصيّتهم وآرائهم العقائدية والفقهية، كما تميّزت هذه المدرسة بالمراجعات والعدول عن بعض الآراء التي لا تتماشى مع متطلبات المراحل التّاريخية، سواء في مرحلة التّشكّل والبلورة، كعدولهم عن آراء الخوارج في مسألة التّحكيم، وانتهاجهم نهج العلم والتفقه، واستمر هذا في مرحلة الدّولة حيث عملوا على مدّ جسور العلاقات مع بعض الدول المجاورة، وقد بقي هذا التقليد الحميد حتى مراحل متأخرة على يد المجدّدان : الشيخ إبراهيم بيوض، ويوسف اطفيش.

أما عن المنهج المتبع في الدراسة، فقد اعتمدت المنهج التاريخي التحليلي، الذي حاولت من خلاله استقراء الأحداث التاريخية التي حواها كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير المالكي، خاصة ما تعلق منها بموضوع التعايش المذهبي بين مختلف الطوائف والفرق بالمجتمع التاهرتي الرستمي، متوخيا الموضوعية في الطّرح، وتجنّب التحامل المفضي إلى الحساسية المذهبية، خاصّة وأن أتباع هذا المذهب ما زالوا يقاسموننا الوطن بالجزائر، فأقل التقدير أن نتأسى بموضوع البحث في رسم صورة التعايش التي هي بحق كانت ولا زالت واضحة بالأقطار المغاربية التي يعيش بها الأباضية.

التعريف بابن الصغير:

اقترن اسم ابن الصّغير المالكي بكتاب "أخبار الأئمة الرستميين" إذ لا نكاد نجد هذا الإسم مقترنا إلّا بهذا الكتاب، كما أنّ المصادر لم تطلعنا على ترجمة وافية لهذا المؤلّف، سواء الأباضية منها أم كتب التّراجم والطّبقات العامة، بالرغم من أنه ينعت من طرف بعض الباحثين بمؤرخ الدّولة الرستمية1، غير أنّنا لا نجد عنه القدر الوافي من المعلومات2، إلّا ما ذكر هو عن نفسه في الكتاب محلّ الدّراسة، كونه من سكان تيهرت وعاصر أيام الإمام أبي يقظان بن أفلح (ت 281هـ) بل وحضر مجلسه بقوله: " وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه"3، وقد رجّح محقِّقَا الكتاب بعض التّرجيحات التي تقوم على التّخمين في تنوير الظّلال حول شخصية هذا المؤرّخ المهم في تاريخ الدّولة الرستمية، سنورد بعضا من هذه القرائن على أنّني أتحفظ على بعضها، فابن الصغير بداية من سكان تيهرت في عهد أبي اليقظان4 – كما تقدم – ولا يعرف بالضبط إن كانت مسقط رأسه، أم أنّه وفد عليها كغيره، كونها كانت مقصدا للعديد من أهل بلاد الإسلام مشرقا ومغربا، فترجح الدكتورة وداد القاضي أنّه من سكان تاهرت مولدا ونشأة5، بينما يخالفها في هذا محققا كتاب ابن الصغير6، نظرا لبعض الإشارات الخافتة التي يحتجّا بها كاعتبار تاهرت للأباضية، وهذا يبدو أنّه طبيعي ما إذا أسقطنا ظروف تلك المرحلة، ونسبنا المدينة لأهل المذهب الغالب، انطلاقا من اعتبار أنّ الدّولة الرستمية قد قامت على شوكة وعصبية المذهبية، كما أنّنا لم نقف على إشارة واضحة تطلعنا على مذهبه، وحتى كنيته بـ: "المالكي" لا ندري إن كانت لقبا أم هي نسبة إلى المذهب المالكي، فتنعته الدكتورة وداد نعتا إجماليا كونه سني7، مدعّمة قولها بنصّ أورده ابن الصغير نفسه عن مناظرة جرت بينه وبين أحد الأباضية، حيث خاطبه هذا الأخير بقوله: " من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراقيين..." – يقصد بهم المالكية والحنفية، يعني أهل السنّة، كما استندت إلى ما ذهب إليه الباروني في معترض كلامه عن ابن الصغير8، بينما يرجّح محقّقا الكتاب كونه شيعيّا وله ميولات علوية – على حسب زعمهما- واستدلا في هذا على دليل أراه شخصيا تعوزه وتنقصه الحجّة، حيث استدل بحديث له أوجه صحيحة9، فقد نسب هؤلاء شيعية ابن الصغير لمجرّد أنّه أورد الحديث القائل: " من كنت مولاه فعلي مولاه" فهل كانت تولي علي رضي الله عنه تشيّعا بالمعنى المذهبي؟ ولعلّ الباحثان استندا إلى رأي المستشرق

البولندي "ليفيسكي" الذي زعم نفس الطّرح، فولاية علي رضي الله عنه ليس تشيّعا بالمعنى المذهبي، ولله درّ قول الشافعي رحمة الله عليه:

وإن كان الرّفض حب آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي

كما أستغرب في كون المحققان استدلّا على كون ابن الصغير ليس من سكان تاهرت، بأنّ معظم أخباره عن القسم الأول من الدّولة الرّستمية، استندت إلى بعض الرّوايات والأخبار التي استقاها عن بعض ثقاة الأباضيين، ولم يسجل مشاهداته إلّا في زمن أبي اليقظان! فهل يمكن لابن الصغير أن يعيش من زمن تولية عبد الرحمن ابن رستم إمامة الأباضية، والتي تكون على أقلّ تقدير سنة 160هـ، وصولا إلى زمن أبي اليقظان الذي توفي سنة 281هـ، وهذا مالا يدركه عاقل، بل تذهب الدكتورة وداد القاضي أنّ ابن الصغير كان صبيّا زمن هذا الأخير وهذا من خلال مناداته بـ: " يا بني"10.

كما رجّحت الدكتورة وداد القاضي أنّ ابن الصغير زاوج بين التّجارة وطلب العلم11، وكان عمدته في هذا الأخير بعض شيوخ الأباضية، وعلى رأسهم شيخه أبو عبيدة الأعرج12، الذي أخذ عنه الكثير من العلوم خاصّة علوم اللّغة، ككتاب اصطلاح الغلط لابن قتيبة، والذي يجعل من ابن الصغير " صاحب أسلوب ومنهج ... ينمّ عن طول باع في ميدان التاريخ"13، وهي نفس النّظرة النّقدية التي وصفته بها وداد القاضي14 لا كما ذكره الشيخ محمد بن مبارك الميلي بأنّ أسلوبه تغلب عليه العامية15، هذا وقد تضلّع ابن الصغير في علوم شتى، وهو ما أهّله لاعتلاء مكانة رفيعة في المجتمع التاهرتي، ولا نعلم إن أخذ ابن الصّغير عنه الفقه الأباضي، وهو ما أستبعده لانتفاء دواعي الانفتاح عليه في ظلّ مجتمع يتمسك كل بمذهبه وينتصر له، كما أنّ ابن الصّغير قد صرّح ببغضه لأهل هذا المذهب من خلال هذا الكتاب16، رغم التّنويه إلى ضرورة التزام كل راوية بالصّدق وتحرّي الحق، وهذا ما يعطي لابن الصغير مصداقية في نقله لأخبار الأباضية، كما يبدو أنّ ابن الصّغير كان له سعة اطلاع بفنّ المناظرة التي أشار إليها في أكثر من موضع من خلال كتابه، وهذا ما يدلّ على أنّه كان يعتلي منزلة كبيرة في مجالس المناظرة بالمجتمع التّاهرتي خاصّة في مخالفته لعلماء الأباضية، الأمر الذي يرجّح سعة اطلاعه بعلم الكلام17، حتى أفرد لهذه المناظرات تقييدا كتابيا، استنادا لما ذكره بهذا الصّدد بقوله:" وقد جمعت ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به وممّا يدخل لهم أو ما ذكروه..." وهنا ترجّح وداد القاضي أنّ هذا التقييد يعدّ كتابا لم يصلنا، وأنّه ضاع من جملة ما ضاع من المخطوطات النّفيسة، على أنّ ابن الصغير مجهول النهاية حتى في مؤلّفه، إذ يلمح القارئ نهاية مبتورة في كتابه، ما زلنا نجهل تفاصيلها، بين حدوث طارئ حال بينه وبين إتمام كتابه18، أو أنّ هذا الأخير قد وصلنا ناقصا مبتور الآخر19، وعليه فقد اكتنفنا الغموض في مسألة سنوات الولادة والوفاة لابن الصغير، أو حتّى العمر الذي قضى عليه الموت، مع أهميّته في المجتمع التاهرتي، وربّما يعدّ هذا الغموض مقترنا وملازما لما تعرّضت له المدينة من تخريب وحرق من قبل العبيديين.

التعريف بالكتاب:

يعدّ كتاب " أخبار الأئمة الرستميين " من أهمّ المصادر وأقدمها المؤرخة لتاريخ الدّولة الرّستمية20، وربّما الوحيد لتاريخ هذه الأسرة الحاكمة للمجتمع الأباضي21، بالرغم من أنّنا نفتقد مخطوطه الأصلي سواء في الخزائن الخاصة الأباضية، أو ما تعلّق بالمكتبات الجزائرية عموما، هذا إذا علمنا أنّ هذا الكتاب يؤرخ لفترة مهمّة من تاريخ الجزائر، متعلّقة بأول دولة إسلامية مستقلة ببلاد المغرب الاسلامي22، فيفيدنا المستشرق "موتيلانسكي" الذي يعود له الفضل في تقديم الكتاب ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر سنة 1905، والذي نوّه من خلاله إلى أهمية الكتاب، والإشارة إلى صاحبه – الذي يبدو أنّه كان مغمورا بالنسبة للمجتمع العلمي عموما- خاصة لدى المستشرقين، وبالأخص لدى "موتيلانسكي"، هذا الأخير الذي صار المصدر الأهم لكتاب ابن الصّغير، ولا نكاد نذكر الكتاب إلّا مقترنا بـ"موتيلانسكي"، حيث تعرّف هذا الأخير على شخصية ابن الصغير من خلال دراسة مقتضبة صادرة عن مدرسة الآداب بمدينة الجزائر، نشرت سنة 1885م23، لكن لا ندري أين يوجد هذا المخطوط الذي أشار إليه موتيلانسكي في تقديمه للكتاب وصاحبه،

وإنّني إذ أورد هذا القول فإنّني لست مبالغا بحق هذا المستشرق، حيث ظلّ الباحثون يرجعون إلى النّص الذي قدّمه موتيلانسكي24 ضمن أعمال ملتقى المستشرقين25، وربّما كان هذا الأمر من بعض حسنات الإستشراق، الذي حفظ لنا بعض تراثنا الأصيل، كما عمل كل من موتيلانسكي والمستشرق البولندي ليفيسكي على تدوين بعض الملاحظات المتعلقة بالكتاب، ومقارنته ببعض المصادر الأباضية26، كما تمّ طبع النّص العربي الذي قدّمه هذا المستشرق في مجلّة العلوم الإنسانية لكليّة الآداب جامعة تونس، ولم تطرأ على إخراجه إلّا بعض الأخطاء السّافرة التي غفل عنها موتيلانسكي في إخراجه للنّص العربي، وكان هذا خلال الموسم 1975-1976، ثمّ أعيد إخراج النّص مرّة أخرى في السّنة الموالية دون زيادة من نفس الهيئة ضمن سلسلة معنونة بـ: " معرفة المغرب"27.

وقد تميّز كتاب ابن الصغير بكونه يؤرخ لدولة أباضية، ويتمذهب بغير مذهبها أصولا وفروعا، بل صرّح في أكثر من مناسبة بأنّه يخالف آراء أهل هذا المذهب للحدّ الذي يناصبهم فيه العداء28، وهذا ما يضفي على هذا المؤلَّف مصداقية كبيرة كونه من غير أهل المذهب الأباضي وأنصفهم في أغلب المواقف والأحداث، رغم ما ذكرنا من أوجه الشّقاق والمخالفة، ويتذرّع ابن الصغير في هذا العداء بأسباب تجعل رأيه مؤسسا ومستندا إلى آراء متعلقة بالأساس العقدي، وعلى رأسها مناصبة علي رضي الله عنه العداء، ورفض التحكيم29، ولكنّه بالقَدْرِ الذي يصرّح فيه بهذا البغض، بالقدر الذي يذكّر فيها نفسه بالصدق في الإخبار عنهم، ووصفهم بحسن السّيرة وطلاوة الأفعال30، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على دماثة أخلاق المؤلّف ومروءته.

كما أنّ العنوان الذي اختاره كلّ من إبراهيم بحاز ومحمد ناصر محققا الكتاب، وهو: "أخبار الأئمة الرستميين" ليس محلّ إجماع بين للباحثين، وإنّما هو من ترجيحهما، فقد وردت هناك عناوين بديلة أخرى، كالعنوان الذي أورده موتيلانسكي بـ: " تاريخ ابن الصغير عن أئمة تاهرت الرستميين"31، وقد أوردت وداد القاضي عنوانا يظهر من خلاله أنه وضع من قبل النسّاخين والنّاقلين وهو :" ذكر بعض الأخبار في الأئمة الرستميين منقول من ابن الصّغير"32، بالإضافة إلى عناوين أخرى واردة كـ:"تاريخ ابن الصّغير" و"سيرة ابن الصغير"وغيرها من العناوين التي تبدو أنّها استعملت في الكتابات الحديثة33، وتزعم الدكتورة وداد أنّ كتاب ابن الصّغير ورد إلينا ناقصا مبتورا، وتستند في هذا إلى أدلّة قويّة أبرزها وهو افتقاد المصدر لخاتمة تقدره قدره وأهميّته، وهذا يطرح أيضا موضوع الفترة التي كتب فيها المصدر، فهل يعدّ الكتاب عبارة عن مذكرات يومية تؤرخ لروايات شفوية استقاها ابن الصغير من ثقاة الأباضية؟ وأبرزهم أحمد بن البشير34، بالإضافة إلى مشاهداته والتي تدل على أنّه كان يعرف وجوه القوم من الأباضية، وهذا رأي المستشرق ليفيتشكي، أم أنّ ابن الصغير استرجع ما عَلَق بذهنه من أخبار ومشاهدات في مؤلّف يؤرّخ للأئمّة الرستميين، وكان هذا رأي شريكه موتيلانسكي، حيث يرجّح هذا الأخير بأنّ صاحب المؤلّف كتبه عشرون سنة بعد وفاة أبي اليقظان، وتخالف الدّكتورة وداد كلّ من الرّأيين لضحالة حجّتهما، بينما يرجح آخرون تاريخ انتهاء هذا المؤلّف سنة 290هـ35، ومن هنا أمكننا طرح عدّة استفهامات متعلقة بالمؤلَّف أبرزها:

- هل توقف هذا المؤلَّف عند أحداث أبو حاتم ابن أبي اليقظان كما وصلنا؟
- أم أنّه بترت أجزاء منه كونه يوجد دون خاتمة؟
- كما يستدعي التّساؤل الأخير السّؤال عن حجم الكتاب الحقيقي إذا ثبت بتره؟

كلّ هذه الأسئلة لا يتسنى لنا الإجابة عنها في ظلّ افتقادنا إلى النّص الأصلي للكتاب، بل للأسف الشّديد نذهب أبعد من هذا كوننا لا نعتمد إلّا على نسخة تركها لنا مستشرق لا يمتّ لا إلى جغرافية البلد ولا إلى تاريخه بِصِلَة، كما تساهم الذّهنية المحليّة في الإبقاء على هذا الإشكال بالتشبّث بالخزائن وعدم تترك فرصة للباحثين في تحقيقها ونفض الغبار عليها، وهي بذلك تسيء إلى هذا التراث من حيث تدري أو لا تدري.

أمّا فيما يخصّ محتويات الكتاب، فقد أورد لنا "ابن الصغير" سير الأئمة الرستميين مرتبين الواحد تلو الآخر، ابتداء من عبد الرحمن ابن رستم، وانتهاء –كما وصل إلينا- بأبي حاتم بن أبي اليقظان، وهنا لا بدّ من الإشارة أنّ تاريخ ابن الصغير أورد لنا سير الأئمة الرستميين دون إردافها بتواريخ محددة36، –وهي الميزة التي تميّز الكتاب عموما- ما عدا ذكر تاريخ وفاة أبو اليقظان، والذي حدّده بسنة 281هـ37، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى كونه عاصر عهدة هذا الإمام، وهو ما يضيف مصداقية أخرى إلى الكتاب، إذ تورع عن ذكر تواريخ ليس متأكدا منها، فصنّف فقط ما هو مقيّد لديه، أمّا الأئمة السّابقون، فقد أشار ابن الصغير إلى فترة حكمهم مجملة تقريبية، كما أفرد لكل إمام مدّة جزافية، دلّ على هذا أنّها جاءت كلّها في نسق عشري، فإذا ما جمعنا بين الفترات وجدنا مدّة تربو عن ما عمّرته الدولة الرستمية في حدّ ذاتها38، ومن هنا أمكننا اعتباره كتاب ابن الصغير كتاب إخبار، ركّز على طبيعة الأحداث أكثر من تركيزه على تواريخها، وهو نفس الأمر الذي ينسحب على ذكر الفتن والانشقاقات في المذهب الأباضي، بالإضافة إلى تولية بعض وجوه المذهب في مناصب قريبة من الأئمة الرّستميين، كالقضاء والوزارة، كما أنّه يمكننا اعتبار الكتاب مختصرا لسير الأئمة الرستميين رغم حجمه الصّغير، إلّا أنّه ذو قيمة علمية كبيرة، جاء بأسلوب ماتع وسلس وهو ما يبوئ ابن الصغير مكانة في رسم تاريخ الرستميين.

صور التعايش المذهبي تاهرت الرستمية:

قد أورد لنا كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" لابن الصغير عديد الصّور لمظاهر التّعايش بين مختلف الفرق والنِّحل، ولا أدلّ على هذا من كون ابن الصغير يروي وينقل عن الأباضية وهو على غير مذهبهم، فيفيدنا بصور عزّت على القارئ في فترة شهدت الاستقطاب والاصطفاف المذهبي على أوجّه، ولذا يمكننا أن نعتبر المجتمع التاهرتي في ظلّ بني رستم الأباضيين حالة شاذّة عن غيره من دول العالم الإسلامي في تلك الفترة، والذي عرف بالتعصّب المذهبي، بل وفرضه أحيانا بقوّة السّلطان كحمل النّاس على المذهب المالكي في عهد هشام بن عبد الرحمن بالأندلس، وعليه فقد جاءت عدّة صور من هذا التعايش بين طيّات الكتاب، والتي تكتسي المصداقية والموضوعية كون ابن الصغير يصرّح جهارا ببغض ونصب العداء للأباضية في أكثر من موضع، الأمر الذي لم يمنعه من إنصافهم وذكر كريم خصالهم، وفي هذا الصّدد يقول في الإخبار عنهم: "...وأن أتمّ الصّدق فيها ولا أحرّفها على معانيها ، ولا أزيد فيها ولا أنقص منها، إذ النّقص في الخبر والزيادة فيه ليس من شيم ذوي المروءات ولا من أخلاق ذوي الدّيانات، وإن كنّا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين ولمذاهبهم مستقلين، فنحن وإن ذكرنا سيرهم على ما اتصل بنا وعدلهم فيما ولّوه، فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم ولا حسن سيرهم"39، فدلّ هذا النّص أنّ ابن الصغير عمد إلى إنصاف أباضية تاهرت ذاتيا وموضوعيا، إذ ليس من حق المؤرخ أن يتصرف في نقله استنادا إلى مذهبه وملّته، وهذا في حدّ ذاته يعدّ صورة من صور التعايش، وقبول فكرة الآخر، ويدلّ دلالة جليّة أنّ المجتمع التاهرتي عمل على فكرة التعايش حفاظا على كينونته ووحدته.

والمفارقة في كتاب ابن الصغير، كونه أظهر الافتراق والاختلاف داخل المذهب الأباضي أكثر من غيره من المذاهب الأخرى، ولا نزعم أن هذا نابع من اختلافه المذهبي مع الأباضيين، لأنّه قطع العهد بنقل الحقيقة للقارئ دون زيادة أو نقصان، - كما تقدم الحديث- وهو في هذا أظهر إنصافا لأهل المذهب أكثر مما أساء إليهم، وذلك كونه يظهر صور البرّ والتّواصل مع أهل الملل والنِّحل الأخرى من القائمين على المذهب في فترة ظهور إمامتهم، وقوّة شوكتهم، وكان مضمار التّنافس في هذا هو المناظرة ومقارعة الحجّة بالحجّة، وهذا ما يميّز الأباضية عن غيرهم من الفرق المحسوبة على الخوارج - هذا إن اعتبرناهم كذلك إلى هذا اليوم - فحتى نظرتهم الأولى كانت قائمة في اعتبار المخالف كافر نعمة وليس كافر ملّة، وهو ما جعلهم يتعاملون مع مخالفيهم معاملة طبيعية، كالتّجارة والمجاورة، ولا يرون سبي المخالف ولا أخذ ماله وسلبه، ولا يرون داره دار كفر إلّا دار السّلطان، وقد خالفوا في هذا نظراءهم كالنّجدات والأزارقة والصفرية....، فربّما كان هذا الاعتدال هو الأساس لاستمرار هذا المذهب دون غيره من هذه النِّحلة، وهذا ما تؤكده الصّورة التي نقلها لنا ابن الصغير عن مجتمع مدينة تاهرت الذي جمع

فسيفساء ومزيجا من الطوائف والتركيبات البشرية التي عجّت بها هذه المدينة "...حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين..."40 وهذا لا يتأتّى حقيقة إلا إذا ساد العدل والتّعايش بين هذه الفرق، ويظهر من خلال هذا النّص ما بلغته تاهرت من مجموعات عرقية عملت على تمصيرها من جميع أصقاع العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وليس النّعت هنا للدلالة على الجهة أو الأصل التي وفدت منه هذه البيوت، وإنّما علاوة على هذا المعنى، فقد دلّ في أحيان كثيرة على وصف المذهبية، دلّ على هذا نصّ أورده ابن الصغير في مناظرته لأحد الأباضية، حيث خاطبه هذا الأخير بقوله: "...من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراقيين..."41، والزّعم أنّ هذا نعت الحجازيين أطلق على المالكية والعراقيين على الأحناف، فنرى هنا أن المعنى انصرف إلى غير ظاهره، كما أن هذه الوفود ستتأثر ببيئتها الأصلية بطبيعة الحال، وقد مثّلت تاهرت هذا النموذج.

ولعلّ أبرز صور التّعايش في شقه السّياسي تتجلى في اعتلاء عبد الرحمن بن رستم لإمامة مجتمع الأباضية، وتقديمهم له دون غيره من عموم المقدمين في المذهب الأباضي، وهو الوحيد الغريب، فهذا يعدّ في حدّ ذاته تعايشا وقبولا للآخر، وإن كان الأصل في بلاد المغرب أن تنزع كل قبيلة إلى مقدّمها، كي يتسنى لها الحصول على امتيازات الحكم، كما أنّ عبد الرحمن بن رستم من خلال سيرته يمكن أن نقول أنّه كرّس مبدأ التّعايش وهذا من خلال حسن سيرته والعمل على إصلاح رعيّته، الأمر الذي تكلّل بتمصير تاهرت وذيوع صيتها وإقبال الوفود عليها مشرقا ومغربا من الأباضية ومن غيرهم42، كما تتوضح لنا صورة أخرى تدلّ على استقرار المجتمع الرستمي نسبيا وهو طول فترة حكم أئمته، وهو ما يدلّ على الاستقرار النسبي الذي شهده هذا المجتمع، على أنّ ما حدث من ثورات وانقسامات داخل هذا المجتمع، كان أغلبها من داخل المذهب الأباضي نفسه، ابتداء بالحركة النكارية43 ما عدا ثورة الواصلية التي استطاعت الظهور على الإمام عبد الوهاب، واضطرته إلى عقد صلح معها وترتيب مناظرة بين الفتي المعتزلي ومهدي النفوسي الأباضي، فكان الظّفر لصالح هذا الأخير، وانتهت بالاشتباك الذي انتهى لصالح الأباضية هذه المرة44، بالإضافة إلى ثورة العجم في عهد أبو بكر بن أفلح، والتي برزت كنوع من التمرّد حرّكه فصيل من غير الأباضية45، ولا يستبعد أن تكون القبلية جزء من هذا الصراع اعتبارا للصراع بين مغراة وبني يفرن للرستميين46، كما لا يستبعد تدخل الأدارسة في هذا الصراع، خاصة الوقوف وراء الواصلية انطلاقا من التحالف القديم بين إدريس بن عبد الله وإسحاق بن محمد الأوربي المعتزلي47، لكن الدكتور بن عميرة ينفي أي صلة بين الواصلية والأدارسة48، وأن هذا الصراع ذاتي لا يمتّ بأي صلة للتأثيرات الخارجية، بدليل أن الواصلية بقيت مهادنة للأئمة الرستميين حتى مقدم أبو عبد الله الشيعي وخروجهم إليهم49، فلو كان الصّراع بإيعاز خارجي لما آثرت الواصلية المناظرة على حساب الصّدام المسلح.

فيتضح من خلال كثرة الوفود في تاهرت الرستمية وسياسة الرستميين إزاءهم، والذي أفضى إلى بناء نسيج من العلاقات التي حتّمت ضرورة التّعايش، خاصّة وأنّ التّباين بين هذه الفرق ظهر بشكل منقطع النّظير، علاوة على الشراة50 - وهو اللقب الذي اصطلح عليها الأباضيون في نعت أنفسهم، وارتضوه لجماعتهم – إذ صارت الأباضية في هذا التّوقيت قومية، انطلاقا من قيامها على شوكة قبائل زناته، وخاصة نفّوسة التي تميّزت بالحظوة والمكانة الرّفيعة، انطلاقا من رمزية المنطقة التي تعدّ مهدا لدعوتهم وأوّل دار لهجرتهم51، ولذا خُصَّت نفوسة بالحظوة والمكانة الرّفيعة بين عموم الأباضية، بالإضافة إلى فرقة الجند الذين يعدّون بطانة الإمام وحشمه، حيث يذكر ابن الصغير أنّ جلّهم استقدموا من إفريقية52، فربما كانوا ممّن استجلبوا مع عبد الرحمن بن رستم حين انسحابه من القيروان، أو هم من عموم نفوسة باعتبارها من أعمال إفريقية.

كما أورد لنا الكتاب أهل الحواجر – ويعني بهم أهل الحضر من سكان المدينة- نظرا لاعتمادهم على الحجر في بناء بيوتهم، والذين تكوّنت منهم فرق كالعرب53 والعجم54 والذين عرف منهم الرستمية55 والفارسية56، حيث برز منهم مشائخ

البلد57 والتجار58، علاوة على عوام المدينة59، فيذكر لنا ابن الصغير في أكثر من مناسبة أنهم كانوا يستثنون من المشورة ولا يحضرها إلا مقدمي الأباضية60، يستثنى من هذا عهد أبو حاتم الذي استشار الأباضية وغيرهم في مسألة القضاء، كما عرف المجتمع الأباضي بالاصطفاف والتحزّب، كما هو الحال بالنسبة لجماعة ابن عرفة صهر الإمام أبو بكر بن أفلح61، هذا فيما يخصّ صورة أهل المدينة، أمّا فيما يخصّ أهل البادية وهم سكان أطراف مدينة تاهرت62، فقد تكوّنت من القبائل التي استوطنت أطراف مدينة تاهرت كقبائل هوارة63 ومزاتة64 ولواتة65 وزواغة66 ومزاتة67 ولمطة68وكلّها قبائل زناتية، والغريب أنّ كتاب ابن الصغير يصور هذه القبائل كخطر هدّدت الوجود الرّستمي في عهد أبي اليقظان69، بينما يذهب آخرون إلى تهميش دور زناته في هذه الأحداث70، رغم أنّ زناته تعدّ شوكة الأباضية وعصب قيامها، فربما كان هذا الدّور في فتنة من الفتن التي عادة ما كانت تعصف بالمجتمع الرّستمي بين الفينة والأخرى، كما أورد لنا كتاب ابن الصّغير ذكر قبائل صنهاجة71، وقد دُوِّن انتشار العديد من الكلمات السّودانية في المجتمع التاهرتي، ربما لاتصال التّجار ببلاد السودان، وليس من منطلق وجود جالية سودانية بالدّولة72.

أمّا فيما يخصّ المزيج المذهبي فهو متنوع بدوره شأنه في هذا شأن التنوع العرقي، فعلاوة على الأباضية أو الشّراة، نجد فرعا آخر من فرق الخوارج وهي الصّفرية73 التي نزلت لحصن تالغمت المشرف على تاهرت74 حيث التزموا الهدوء إزاء السلطة خاصة وأن ميمون بن الإمام عبد الوهاب يعدّ من رؤوسهم75، كما عرفت الصّفرية في بعض الأحداث والفتن التي شهدتها مدينة تاهرت خاصة بعد مقدم أبو عبد الشيعي76، إضافة إلى أهل السّنّة من مالكية وحنفية، وهي راجعة بالأساس إلى كثرة الوافدين على تاهرت من حجازيين وعراقيين77، ومن المعروف تأثير الواصلية أو المعتزلة على المدينة 78 والذين عرفوا بكثرة مناظرتهم للأباضية79، بل وتأثّر هؤلاء بالكثير من آراء المعتزلة في العديد من مسائل العقيدة، وقد سكت الكتاب عن إدراج فرقة الشيعة إلى المجتمع التّاهرتي – غير ما ذكره المحققان في كون ابن الصغير كان شيعيا- خاصّة إذا علمنا الخلاف الحادّ بين فرق الشّيعة الأباضية في هذا الشّأن، والتي عملت على استئصال خطبة التّحكيم من خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه80، كما صمتت المصادر التي تثبت وجود الشيعة تاهرت عن مذهبهم السائد بين الإسماعيلية أو الزيدية81، كما ورد لفظ المسيحيين في أكثر من مكان أكّده ذكر موضع الكنيسة، غير أنّ المحقق رجّح أن تكون لفظة المسيحيين هي تحريف لفرقة السّمحيين من الأباضية، غير أنّ هذا لا ينفي أن يكون هناك مسيحيين بالمجتمع الأباضي82.

بالرغم أنّ كتاب ابن الصغير اختزل المجتمع الرّستمي في سكان تاهرت، إلا أنّه يبرز لنا تفاصيله الدّقيقة، وأوضح لنا صورة جليّة عن كثير من مشاهد التّعايش بهذا المجتمع في جزائر العصر الوسيط، رغم حمله الكتاب من صور أخرى تظهر حدّة في التّعامل مع المخالف، وتقف منه موقفا صارما، وهذا ما أعزوه إلى نفسية النّاس في هذه الفترة من العصر الوسيط، حيث برز حمل النّاس على المذاهب، وامتحان العلماء، ودفع الضّرر والخلاف بحمل السّلاح، ومناكفة الأفكار بحرق الكتب والمكتبات، وظهور الانحياز المذهبي داخل المذهب الواحد فضلا عن المذاهب المخالفة، غير أنّ ابن الصغير أنصف القوم ووصفهم بما هم أهل له، من البّر وأوجه الخير، بل إنه ميّز شيوخهم وقضاتهم بالورع والزهد والشدّة في الحق83، والذين ناكفوا خصومهم بالحجّة والمناظرة84، وأعلى من شان أئمتهم وولاة أمورهم حتى ترضى على بعضهم، كعبد الوهاب بن عبد الرحمن85، ووصف دماثة أخلاق أبو اليقظان، وجلوسه بين الناس في المسجد، هذا الأخير الذي كان يصلّي فيه الأباضي وغير الأباضي إلا المسجد الكبير86، ولا ينكرون على غيرهم مخالفة المذهب –كرفع اليد في الصلاة- إلا إذا كرّر الفعل87، كما أوضح الكتاب إنكار المنكر على الأئمة الرستميين، بالتبليغ عن أصحاب الأعمال كالشرطة والقضاة وصاحب بيت المال وأبناء الأمراء88، ولذا كانت تعقد الأمور العظام في المساجد، وقد اتسع صدر الناس للمناظرة التي أفرد لها ابن الصغير تقيدا – كما ذكرت- وهذا ما عزّ نظيره في هذه الفترة بدليل ما آلت إليه نهاية هذه الدولة على يد دولة استئصاليه، عمدت إلى

مناكفة مخالفيها بحدّ السيف، وهي الدولة العبيدية التي استطاعت أن تقوض أركان الدولة الرستمية، وتحرق مكتبتها، والتي نعتقد أنها حرقت معها صور أخرى من صور التعايش المذهبي بالمغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط خصوصا.

الخاتمة:

ختاما يمكننا القول أن الحديث عن الدولة الرستمية حديث يستدعي اهتمام الباحثين والدارسين الأكاديميين، وطرق بابها وعدم اقتصار أبناء الإباضية على تدوين تاريخها، وقد خلصت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- يعدّ الاختلاف سنة بشرية وجدت بوجود البشرية، سواء في الديانة الواحدة أو بين مختلف الأديان والملل، ولا يشذ التاريخ الإسلامي عن هذه القاعدة.

- تعد الأباضية من أهم الفرق الإسلامية التي وفدت على بلاد المغرب الإسلامي، كغيرها من الفرق : كالصفرية، والإسماعيلية...، غير أن هذه الفرقة ورغم كونها محسوبة على فرق الخوارج، إلا أنها اشتهرت باعتدالها وكثرة المراجعات لآرائها الفكرية، وتعايشها مع المخالف، ما جعلها تصمد إلى يومنا هذا دون غيرها من فرق الشرارة.

- تعدّ الدولة الرستمية الأباضية من أهم الدول التي وجدت ببلاد المغرب الإسلامي، بل تعد من أولى الدول التي استقلت عن العباسيين في حدود سنة 160هـ، وهي محسوبة على فرق الخوارج وقامت على شوكة قبيلة زناته البربرية.

- إن اعتلاء عبد الرحمن ابن رستم الغريب عن البلاد وأسرته من بعده لهذه الدولة، لدليل على وجود قابلية للتعايش في هذا المجتمع المغربي، كما يمكن اعتباره أول من أسّس لهذه السّياسة، باعتباره من حملة العلم، وبفضل سياسته العادلة وعدم تمييز الأباضية عن غيرهم من الفرق الإسلامية.

- عرفت عاصمة الدولة الرستمية تاهرت أو تيهرت - على حسب اختلاف النطق البربري للكلمة- مجتمعا يتميز بكثرة الأعراق والملل والنحل، وهو ما يحتم أن تظهر الحساسيات المذهبية في هذا المجتمع الواحد، إلا أن الأباضية آثروا سياسة المناظرة والحوار لفض الخصومات، وفك النزاعات، ما يجعل المجتمع التاهرتي يعدّ من أبرز المجتمعات ببلاد المغرب الإسلامي التي تشهد تعايشا بين أفراده وبين مختلف أعراقه ونحله.

- لقد تميز المجتمع التاهرتي بكثرة الفرق والملل بالمجتمع الواحد، فعلاوة على الأباضية بمختلف تفرعاتها، عرف به جل المذاهب الفقهية السنية الأخرى كالمالكية والأحناف، إضافة إلى المذاهب العقائدية الأخرى كالمعتزلة الواصلية، والصفرية الخوارج، والشيعة الذين سكتت المصادر عن ذكر وتحديد فرقتهم.

- كما تميّز المجتمع التاهرتي بالتمايز العرقي والقبلي، حيث نجد منهم العرب كالكوفيين والبصريين والقرويين، إضافة إلى هوارة ومزاتة ولواتة وزواغة ومزاتة ولمطة وكلّها قبائل زناتية، كما عرف منهم صنهاجة والعجم والفارسية، أمّا عن انتشار العديد من الكلمات السّودانية فهو يوحي بوجود جالية منهم، أو بفعل التجارة التي كانت نشيطة مع السودان الغربي، إضافة إلى تميز المجتمع التاهرتي بالطبقية الاجتماعية، حيث يذكر لنا ابن الصغير أهل الحواجر وهم أهل المدينة، ومشائخ البلد، والتجار، علاوة على عوام المدينة وسكان الأرياف.

- يعد كتاب ابن الصغير من أهم مصادر الدولة الرستمية، بل إن صاحبه ينعت بمؤرخها من قبل العديد من الباحثين، كونه عاصرها، وكان شاهدا على العديد من مشاهد التعايش بمجتمعها، وحضر مجالسها السلطانية، بل تزعم الدكتورة وداد القاضي بأنه أَلَّفَ مصنفا في المناظرات التي كانت تقام بالمجتمع التاهرتي، وتزعم أنه ضاع منا - كما تقدم-.

- إن كتاب ابن الصغير المالكي يكتسي مصداقية كبيرة في نقل هذه الأخبار، كونه مخالفا للمذهب الأباضي، مبغضا له -كما صرّح هو بذاته- إلا أنه أعطانا صورة قلّ نظيرها في المجتمع الإسلامي في هذه الفترة، التي اشتدّت فيها المذهبية والاصطفاف والتحزّب، ونقل لنا أخبارا تنصف الأباضية أكثر ممّا تدينهم.

- اقتصر كتاب ابن الصغير على نقل أخبار مدينة تاهرت دون غيرها من الحواضر الرستمية، كونها عاصمة الدولة، وانطلاقا كونه من سكانها، إلا أنه نقل التفاصيل الدقيقة عن مجتمعها، وحال التّجاذبات الطائفية بها.

- تعدّ المناظرات والسّجالات الكلامية طاغية على المناكفات المذهبية، ولم تتعدّها إلى الصدام المسلح غلا النزر القليل المعدود على بعض الأحداث القليلة.

- إن غياب المادّة المصدرية الكافية، سيغيّب عنا العديد من صور التعايش المذهبي، خاصة وأن المصدر الذي بين أيدينا وصلنا ناقصا مبتورا، وأن صاحبه يصرح بعداوته للأباضيين، كما أن حرق مكتبة الدولة قد غيب العديد من صور التعايش التي عرفتها هذه الدولة التي عمرت زهاء القرن وثلث القرن، واستطاعت أن ترسم لنا صورة مشرقة في التعايش، ربما تستطيع أن تؤثر في واقعنا المعاصر.

قائمة المراجع:

- الكتب:

- ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح: ابراهيم بحاز ومحمد ناصر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986.

-أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، دار الأبحاث، الجزائر، 2011.

سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الأباضية، القاهرة.

- محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الجزائر، ج2.

- محمد ناصر الدّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المكتبة الإسلامية، عمّان، ط2، 1983، ج4.

- محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، 1976.

- أبو زكريا النفوسي، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية.

- عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرّستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

-المقالات:

- المهدي البوعبدلي، لمحات من دور الدّولة الرّستمية في ميادين الحضارة والفكر لبعض الباحثين القدامى والمتأخرين، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، ع41، 1977.

- وداد القاضي، ابن الصغير مؤرخ الدّولة الرّستمية، مجلّة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، ع45، 1977.

- فوزية لزغم، التسامح المذهبي في الدولة الرّستمية، مجلة الخلدونية، تيارت، الجزائر عدد خاص 2009.

الهوامش:

1 - وداد القاضي، ابن الصغير مؤرخ الدّولة الرستمية، مجلّة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، ع45، 1977، ص 17.

2 - ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح: ابراهيم بحاز ومحمد ناصر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص12.

3 - نفسه، ص 34.
4 - وداد القاضي، المرجع السابق، ص 37.
5 - نفسه، ص38.
6 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص 12.
7 - وداد القاضي، المرجع السابق، ص 38.
8 - سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الأباضية، القاهرة، ص 2.
9 - محمد ناصر الدّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المكتبة الإسلامية، عمّان، ط2، 1983، ج4، ص33.
10 - وداد القاضي، المرجع السابق، ص 38.
11 - نفسه، ص39.
12 - أبو عبيدة الأعرج: عالم تاهرت وعابدها، أقرّ له أهل المذهب وأجمعوا على فضله وصدّروا رأيه، عاش في عهد أبي اليقظان الذي كان يتورع عن مجلسه، ولم يكن يجتمع به إلا في المسجد الجامع، وقد أكنّ له كل أوجه التقدير والإحترام، وأنفذ طلباته في أكثر من مناسبة إكراما له وإجلالا، انظر: أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، دار الأبحاث، الجزائر، 2011، ص219.
13 - محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، 1976، ص9.
14 - وداد القاضي، المرجع السابق، ص 49.
15 - محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ج2، ص69.
16 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص31.
17 - وداد القاضي، المرجع السابق، ص39.
18 - نفسه، ص39.
19 - سليمان الباروني، المرجع السابق، ص84.
20 - وداد القاضي، المرجع السابق، ص37.
21 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص15.
22 - نفسه، ص7.
23 - نفسه، ص19.
24 - قام موتيلانسكي بتقديم ملخّص النّص مترجما إلى اللغة الفرنسية في مؤتمر المستشرقين. أنظر: وداد القاضي، المرجع السابق، ص38.
25 - وداد القاضي، نفسه، ص38.
26 - نفسه، ص38.
27 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص9.
28 - نفسه، ص31.
29 - نفسه، ص121.
30 - نفسه، ص31.
31 - نفسه، ص19.
32 - وداد القاضي، المرجع السابق، ص41.
33 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص15.
34 - نفسه، ص17.
35 - المهدي البوعبدلي، لمحات من دور الدّولة الرستمية في ميادين الحضارة والفكر لبعض الباحثين القدامى والمتأخرين، مجلة الأصالة، ع41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977، ص 195.
36 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص18.
37 - نفسه، ص102.

38 - وداد القاضي، المرجع السابق، ص53.
39 - نفسه، ص31.
40 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص36.
41 - نفسه، ص118.
42 - نفسه، ص94.
43 - فوزية لزغم، التسامح المذهبي في الدولة الرستمية، مجلة الخلدونية تيارت، عدد خاص 2009، الجزائر،ص 65
44 - أبو زكريا النفوسي، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، ص71.
45 - نفسه، ص80.
46 - محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص116.
47 - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص65.
48 - محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص153-154.
49 - عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص104.
50 - الشراة لقب أطلقه الإباضيون وفرق الخوارج عموما على أنفسهم كونهم باعوا أنفسهم لله ، استدلالا بقوله تعالى" إنّ الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة..." ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص73.
51 - محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص93.
52 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص62.
53 - نفسه، ص80.
54 - نفسه، ص62.
55 - نفسه، ص83.
56 - نفسه، ص107.
57 - نفسه، ص105.
58 - نفسه، ص83.
59 - نفسه، ص105.
60 - نفسه، ص39.
61 - نفسه، ص74.
62 - نفسه، ص62.
63 - نفسه، ص53.
64 - نفسه، ص47.
65 - نفسه، ص107.
66 - نفسه، ص109.
67 - نفسه، ص113.
68 - نفسه، ص113.
69 - نفسه، ص104.
70 - محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 134.
71 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص108.
72 - نفسه، ص71.
73 - نفسه، ص108.
74 - محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص132.
75 - أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص67.

76 - أبو زكريا، المصدر السابق، ص112.
77 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص118.
78 - نفسه، ص93،
79 - محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص128.
80 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص89.
81 - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص63.
82 - ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص114.
83 - نفسه، ص89.
84 - نفسه، ص94.
85 - نفسه، ص54.
86 - نفسه، ص88.
87 - نفسه، ص89.
88 - نفسه، ص47.